

الرَّسَالَةُ ٢٣٢

هل الإيمان المسيحي معقول؟

(Arabic – Is the Christian faith reasonable?)

حلقة جديدة من سلسلة : سؤال حيرني وجواب أفنعي
وسؤال هذه الحلقة : هل الإيمان المسيحي معقول؟¹
يجيبنا على هذا السؤال:
في كتابه : Know Why You Believe

إننا نعيش الآن في عالم تتزايد فيه العلوم والفلسفات. ولم يعد كافيًا أن نعرف ماذا نؤمن به. بل أصبح أساسيًا وضروريًا أن نعرف لماذا نؤمن. فليس الإيمان بمبدأ يعنى بالضرورة أنه حق. ويخطئ من يظن أن الإيمان المسيحي إذا أشرق على قلب الإنسان يعلق الباب على ذهنه وعقله وفكره. يذكر لوقا البشير أن يهوديًا سأل يسوع: "ماذا عمل لأرث الحياة الأبدية؟". فسأله يسوع عن المكتوب في الشريعة فأجاب: تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك. فقال له بالصواب أجبت. "افعل هذا فتحيا". من هنا ندرك أن محبتنا لله لا تصدق إن لم تكن من كل الفكر. لقد أساء بعض الناس فهم ما جاء برسالة بولس الرسول إلى مؤمنى كولوسى إذ يقول: "انظروا أن لا يكون أحد يسيبكم بالفلسفة ويغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم. وليس حسب المسيح". فلقد أساءوا استخدامها بالانطباع أن المسيحية ليس لنقبلها بفكرنا أو بعقولنا.²

لا بد من تقديم رسالة الإنجيل بأسلوب واضح للذهن مفهوم مبسط دون تعقيد. ولا يعنى ذلك أن يكون الفهم العقلي بديل الإيمان. ولكنه كأرضية للإيمان. قال كاتب الرسالة إلى العبرانيين بالأصحاح الحادى عشر. "وأما الإيمان فهو الثقة بما يرجى والإيقان بأمر لا ترى". ثم قال: "ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاءه. لأنه يجب أن الذى يأتى إلى الله يؤمن بأنه موجود". وجاء بإنجيل يوحنا قول الرب: "وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم". وجاء قوله: "وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية. ذلك يمجدي لأنه يأخذ مما لى ويخبركم. كل ما لى لأب هو لى. لهذا قلت أنه يأخذ مما لى ويخبركم". ليس بديل ليقوم بعمل الروح القدس ويوصل الإيمان إلى القلب ليتجدد. إن الروح القدس هو العامل الأساسى لهداية النفوس لمعرفة الحق.³

إن وسائل الإعلام الحديثة جعلت العالم كله متجاورا. وأصبحت الاكتشافات العلمية المتطورة لها تأثير قوى على البشر. روى أحد الكتاب الفلاسفة قصة تخيل فيها: أن اثنين من المكتشفين دخلا مكانا موحشا فى الأدغال فوجدا قطعة من الأرض مستصلحة. نبنت فيها كمية كبيرة من الزهور محاطة بالأعشاب. فقال أحدهما: "لا بد أن بستانيا صمم واعتنى بذلك القطعة من الأرض". فأجابه المكتشف الآخر معترضا: "لست أعتقد أن بستانيا قام بذلك". فنصب الرجلان خيامهما وبدءا ملاحظة ما يحيط بهما فلم يرا أحدهما بستانيا. فأحاطا المكان بأسلاك شائكة ووصلاها بمولد كهربائى. وأقاما كلابا حارسه مدربة وقالوا: "ربما يوجد بستانى غير منظور".⁴

لقد تذكرنا قصة عن الرجل غير المنظور التى ألفها أحد الكتاب المشهورين ويُدعى HG Wells. وكان بطل القصة غير المنظور يمكن لمسُه وتمييز رائحته. لم يسمع المكتشفان صراخا. وظنا أن واحدا سطا على المكان وأصيب بصدمة كهربائية مفاجئة. ولكنهما لم يشعرا بحركة للأسلاك تنبئ عن أن متسلقا غير منظور اقتحم المكان. كما أن الكلاب الحارسه لم تعو إطلاقا. ولكن المكتشف المؤمن بقى على حاله غير مقتنع بعدم وجود

¹ Paul Little ، استمع إلى الإنجيل

² إنجيل لوقا ١٠: ٢٥ - ٢٨ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى كولوسى ٢: ٨

³ الرسالة إلى العبرانيين ١١: ١ & ٦ ، إنجيل يوحنا ١٤: ٢٦ & ١٦: ١٣ - ١٥

⁴ HG Wells

الْبُسْتَانِيَّ وَقَالَ: "لَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ بُسْتَانِيٍّ غَيْرِ مَنْظُورٍ وَغَيْرِ قَابِلٍ لِلتَّأثيرِ بِالصَّدَمَاتِ الكَهْرْبَائِيَّةِ أَوْ بغيرِهَا. وَهَذَا الْبُسْتَانِيُّ يَأْتِي خَفِيَّةً لِيَعْتَنِي بِالحَدِيثِ التي يُحِبُّهَا". وَلَكِنَّ المُشْكِكَةَ قَالَ لِصَدِيقِهِ الْمُؤْمِنِ بِلَهْجَةٍ يَأْسَسِيَّةٍ: "مَاذَا يَبْقَى بَعْدُ مِنْ مَزَاعِمِكَ؟. إِنْ مَا تَدْعِيهِ مِنْ وُجُودِ بُسْتَانِيٍّ مَنْظُورٍ أَوْ غَيْرِ مَنْظُورٍ أَوْ أَنَّهُ كَائِنٌ لَهُ قَدْرَاتٌ عَجِيبَةٌ أَوْ أَنَّهُ أُنزِلَ أَيْدِي هَذَا وَحَى مِنْ خَيَالِكَ وَوَهُمْ مِنْ تَصَوُّرَاتِكَ. الوَاقِعُ الَّذِي يَقْبَلُهُ العَقْلُ أَنَّهُ لَا وُجُودَ لِبُسْتَانِيٍّ عَلَى الإِطْلَاقِ".^١

إِنَّ المَثَلَ الَّذِي سَبَقَ ذِكْرُهُ يُوضِّحُ كَمْ هُوَ عَسِيرٌ الحِكمَ عَلَى حَقَائِقِ الإِيمَانِ المَسِيحِيِّ بِعَقولِنَا المَحْدُودَةِ. فَتَحُنُّ لَيْسَ لَدَيْنَا مَا نَفْعُ بِهِ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى شُكُوكِهِمْ فِي شَخْصِيَّةِ ذَلِكَ البُسْتَانِيِّ الَّذِي يُرَاعِي بِعِنَايَةٍ عَجِيبَةٍ حَدِيثَةَ هَذَا العَالَمِ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ. وَلَكِنَّ لَدَيْنَا الأَخْتِبَارَ العَادِي الصَّادِقَ عَنِ ذَلِكَ البُسْتَانِيِّ الَّذِي دَخَلَ إِلَى سَاحَةِ الإِنْسَانِيَّةِ وَهُوَ ابْنُ اللَّهِ يَسُوعُ المَسِيحُ. وَنُحْوَلُهُ ذَلِكَ يُمكنُ إثباتُهُ والتَّحَقُّقُ مِنْهُ. وَلَكِنَّ مَعْلُومًا أَنَّ الإِدْرَاكَ العَقْلِيَّ عَامِلٌ مِنْ عَوَامِلِ تَوْصِيلِ رِسَالَةِ الإِنجِيلِ لِلنَّفُوسِ. وَلَكِنَّ يُوجَدُ كَذَلِكَ عِبَارَاتٌ أُخْرَى هَامَّةٌ. فَقَدْ جَاءَ بِإِنجِيلِ يُوَحِّدُ الأَصْحَاحَ السَّابِعَ قَوْلَ الرَّبِّ يَسُوعَ: "إِنْ شَاءَ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ مَشِيئَةَ اللَّهِ. يَعْرفُ التَّعْلِيمَ هَلْ هُوَ مِنَ اللَّهِ أَمْ أَتَكَلَّمَ أَنَا مِنْ نَفْسِي".^٢

قَالَ بُولُسُ الرِّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ الأُولَى إِلَى مُؤْمِنِي كورنثوس الأَصْحَاحِ الثَّانِي: "وَلَكِنَّ الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لَا يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللَّهِ لِأَنَّهُ عَدَدُهُ جَهَالَةٌ. وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَعْرفَهُ لِأَنَّهُ إِيْمًا يُحْكَمُ فِيهِ رُوحِيًّا". فَيَدُونُ عَمَلَ الرُّوحِ القُدْسِ لَا يُؤْمِنُ الإِنْسَانُ. كَمَا أَنَّ الإِيضَاحَ العَقْلِيَّ لِلإِنجِيلِ هُوَ وَاحِدٌ مِنَ الوَسَائِلِ التي يَسْتخدِمُهَا اللَّهُ مَعَ البَشَرِ. إِنْ الحَقُّ عَكْسُ البَاطِلِ والشَّرِّ، وَمُحَالٌ أَنْ نَجْمَعُهُمَا مَعًا. يَقُولُ الوَحْيُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُصَدِّقُوا الحَقَّ أَنَّهُمْ سَرُّوا بِالإِثْمِ لِذَلِكَ رَفَضُوا تَصَدِيقَ الحَقِّ. وَلَقَدْ أَوْضَحَ بُولُسُ الرِّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى رُومِيَّةِ الأَصْحَاحِ الأَوَّلِ أَنَّ النَّاسَ عِنْدَهُمُ المَعْرِفَةُ الكَافِيَّةُ أَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ مِنَ الخَلِيقَةِ نَفْسِهَا. وَلَكِنَّهُمْ يَتَجَاهَلُونَ مَعْرِفَةَ اللَّهِ وَقَالَ عَنْهُمْ: "لِأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللَّهَ لَمْ يَمَجِّدُوهُ كَالِهٍ. وَأَبْدَلُوا مَجْدَ اللَّهِ الَّذِي لَا يَفْنَى بِشَبْهِ صُورَةِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَفْنَى. كَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُقِرُّوا اللَّهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ".^٣

إِنَّ القَضِيَّةَ الأَخْلَاقِيَّةَ تَخِيْمٌ كَالضَّبَابِ الكَثِيفِ عَلَى عَقُولِ الرَّاغِبِينَ الإِيمَانَ بِالمَسِيحِيَّةِ. فَالمُشْكِلَةُ عِنْدَهُمْ لَيْسَتْ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا. بَلِ المُشْكِلَةُ عِنْدَهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا. وَلَقَدْ أَشَارَ الرَّبُّ يَسُوعُ بِإِنجِيلِ يُوَحِّدُ فِي كَلَامِهِ مَعَ الفَرِيسِيِّينَ إِلَى جُذُورِ المُشْكِلَةِ حِينَ قَالَ لَهُمْ: "وَلَا تَرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ لِتَكُونَ لَكُمْ حَيَاةٌ". إِنْ ادَّعَاءُهُمْ هُوَ سِتَارٌ مِنْ دُخَانٍ. يَحْبِبُ وَيُعْطِي تَمَرْدًا وَانْحِرَافًا أَخْلَاقِيًّا. قَالَ لِي أَحَدُ الطَّلَبَةِ مَرَّةً: "إِنَّكَ أَجَبْتَنِي عَلَى أَسْئَلَتِي أَجَابَةً وَاقِيَّةً كَافِيَّةً". فَسَأَلْتُهُ: "هَلْ سَتَسَلِمُ حَيَاتَكَ لِلرَّبِّ يَسُوعَ؟". أَجَابَنِي قَائِلًا: "لَا". فَسَأَلْتُهُ مُنْحَرِفًا: "لِمَاذَا لَا؟" فَعَقِبَ بِقَوْلِهِ: "بِصَرَاحَةٍ وَإِخْلَاصٍ لِأَنَّ ذَلِكَ يُشَكِّلُ تَغْيِيرًا كَبِيرًا فِي أُسْلُوبِ حَيَاتِي. وَهَذَا مَا لَا أُرِيدُهُ".^٤

إِنَّ المُشْكِلَةَ لَيْسَتْ فِي الإِقْتِنَاعِ العَقْلِيِّ. إِنَّهَا مُشْكِلَةُ الأَخْلَاقِ والسَّلُوكِ. كَثِيرًا مَا أَوَاجَهُ بِذَلِكَ السُّؤَالِ: "إِذَا كَانَتْ المَسِيحِيَّةُ مَعْقُولَةً وَهِيَ الحَقُّ فَلِمَاذَا مُعْظَمُ النَّاسِ المُتَعَلِّمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ؟" فَاجِبُهُمْ: "إِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ لِنَفْسِ السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَنَّ مُعْظَمَ النَّاسِ غَيْرِ المُتَعَلِّمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ. وَهُوَ أَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا". إِنْ اللَّهُ لَمْ يَكْشِفْ لَنَا عَنْ مَا بَدْهِنِيهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ. "فَمَا أُبْعَدُ أَحْكَامَهُ عَنِ الفَحْصِ وطَرَفُهُ عَنِ الاستِقْصَاءِ". وَلَكِنْ عَلَى أَى حَالٍ نَحْنُ نَمْتَلِكُ مَعْلُومَاتٍ كَافِيَّةً. لِكَيْ يَكُونَ لَدَيْنَا أُسَاسٌ قَوِيٌّ يَسْتَنِدُ عَلَيْهِ إِيمَانُنَا. وَلَكِنْ مَنْ يَتَسَاعَلُ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَعْرفَ أَنَّهُ مِنَ اللّازِمِ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى قَرَارٍ بَعْدَ حُصُولِهِ عَلَى الإِجَابَةِ المُقْنِعَةِ لِسُؤَالِهِ. وَعَدَمَ اتِّخَاذِ قَرَارٍ يَعْنِي أَنَّهُ يَعْزَمُ عَلَى السَّيْرِ فِي الخَطَا رَعْمًا اقْتِنَاعَهُ بِالحَقِّ. وَالشُّكُّ المُسْتَمِرُّ هُوَ سِتَارٌ لِرَغْبَةٍ فِي عَدَمِ قَبُولِ الإِيمَانِ المَسِيحِيِّ المُعْقُولِ.^٥

لِيَتَكَ أَحْيَى تَشْتَرِكُ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ هَدَيْتَنِي بِنُورِكَ إِلَى مَعْرِفَةِ الحَقِّ. إِنْ الحَقُّ الَّذِي هَدَيْتَنِي بِنُورِكَ إِلَيْهِ، حَرَّرَنِي مِنْ قِيُودِي وَمَلَأَ قَلْبِي سَلَامًا. أَعْنِي رَبِّي كَيْ أَعْلَنَ رِسَالَةَ الحَقِّ لِلجَمِيعِ بِقِيَادَةِ رُوحِ القُدْسِ. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ البَارِ.. يَا مَنْ وَعَدْتَ بِقَوْلِكَ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أُخْرِجُهُ خَارِجًا.

أَحْيَى القَارِئُ العَزِيزُ.. إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرِّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ سفر المزمير ١٤: ١

^٢ إنجيل يوحنا ٧: ١٦ - ١٨

^٣ رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى تسالونيكي ٢: ١٢ ، الأولى إلى مؤمنى كورنثوس ٢: ١٤ ، إلى مؤمنى رومية ١: ١٨ - ٢٨

^٤ إنجيل يوحنا ٥: ٤٠

^٥ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ١١: ٣٣